



العزة كل العزة في طاعة الله سبحانه وتعالى، والقرب إليه، وابتغاء رضاه، والسعى في مرضاته، والتذلل له، والخضوع والخشوع، والإتاوة إليه عز وجل.

والمهانة كل المهانة في معصية الله سبحانه وتعالى والشرك به، والمجاهرة بالآثام، وارتكاب المنهيات والمعاصي، ونسيان الحساب، والانكباب على الفانية، والغفلة عن الباقيه.

فالمرء المهان يبذل قصارى جهده في حياته ليستشعر السعادة، فيجمع المال ليلبي حاجاته، ويتبؤا المراكز لتعلو درجة بين الناس، ويلف نفسه بملأ ليحميه ممن حوله، ويظل يجمع من دنياه ما يمكنه، ويحلم أن يجمع ما لا يمكنه.

لكنه، وبينما هو يجمع ويحلم، ويحلم ويحلم، باحثاً عن السعادة، واغلاً في حمأة الغفلة، يأتيه أجله، فيكون الخسران كل الخسران، والخسارة كل الخسارة، فلا سعادة ولا راحة، ولا مال ولا بنون، ولا مستقبل ولا أمل، بل لا حياة من أصلها.. وإنما الحساب والجزاء.. ولات حين مندم!

يموت، كأي شيء يموت، فيستريح منه الحجر والشجر والدواب، كما في الحديث، ويترك ميراثه مما جمعه ليملكه آخرون، وما إن تمر أيام قليلات إلا ويصير طي النسيان، ويلقى جزاءً عادلاً موفوراً، في صحيح مسلم: **“أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى عليه بجنازة فقال مستريح ومستراح منه قالوا يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال العبد المؤمن يستريح**

لا شيء سيكون وفياً له في هذه الحياة التي صارع عليها، حتى أقرب المقربين منه، يصبح همهم ميراثه، ويصبح موته لهم سعادة وفرحة!

لقد عاش حياته مهاناً إهانة فعلية، بكل المعاني، فقد أهان نفسه ببعده عن خالقه، وأهان جسده بغفلته عن العبودية وسقوطه في الإثم، وأهان عقله بإهماله غذاء الحق من العلم والقرآن والخير، وأهان أسرته بعدم نصحهم، وعدم تعليمهم الخير، وأهان حياته بإنفاقها فيما لا ينفعها بل يضرها.

قال ابن القيم: "قد أشار سبحانه إلى هذا - في كتابه - عند ذكر عقوبات الذنب، وأنه أركس أربابها بما كسبوا، وغطي على قلوبهم، وطبع عليها بذنبهم، وأنه نسيهم كما نسواه، وأهانهم كما أهانوا دينه، وضعفهم كما ضيغوا أمره، ولهذا قال تعالى - في آية سجود المخلوقات له: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ} فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفوا به، ولم يفعلوه أهانهم، فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم، ومن ذا يكرم من أهانه الله أو يهين من أكرم" الجواب الكافي

إن مشهد توديعه لدنياه ليمثل قمة المهانة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا وُضِعَتِ الْجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةً، قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَلِيَّاهَا أَيْنَ تَذَهَّبُونَ بِهَا، يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا إِنْسَانٌ، وَلَوْ سَمِعَ إِنْسَانٌ، لَصَعِقَ" رواه البخاري.

ثم تأتيه المهانة الكبرى يوم القيمة، قال سبحانه: "يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهَدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَالِقُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظُنُونُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرِبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ"

المسلم

المصادر: